

## مقياس الصدق والصحة

ثم يكذب مقتطف يدري ينشر حتى أكثر تحدث قرائه بالاحلام التي سمعها ثم ظهرت الحوادث مؤيدة بصحتها وبالاعمال التي شاهدوها مما يدين عنى ان بعض الناس يستطيعون قراءة أفكار غيرهم ومعرفة الغيب والانبياء بالمسبلات . وذاكرتنا البعض في ذلك فعملنا لم أكثر ما ذكره إما يردوا إلى اسباب الطبيعية أو بالإشارة إلى ما يرجح وقوعه فيه من الخطأ والمبالغة ولا شبهة أنه في ادعى مشعوذ من كبار المشعوذين أنه يعمل كل أعماله بسحر أو بقوة روحية خارجة عن التواميس الطبيعية لسدقة تسعة وتسعون في المئة من الذين يشاهدون أعماله . اما وهو يقول أنه يعمل ما يعمل بحضة اليد واستخدام بعض التواميس الطبيعية فيلم للمشاهدون بقوله ولا يسبون أعماله إلى قوة سحرية أو روحية . وما أعمال مصوري الأرواح ومحركي المواقد ومكشفي الخبآت وقارئي الضمائر وغرفي الغيب بأغرب من أعمال المشعوذين ولكنهم لا يشون سر صناعتهم فتبني مستورة عن أكثر الذين يشاهدونها . وقد يكونون هم مخدوعين غير خادعين ليل فطري فيهم إلى تصديق الأوهام أو خلل في ادستهم يدعومهم إلى تصديق ما يُخيل اليهم فيخدعون ويخدعون غيرهم على غير عمد . ولو ذكرنا كل القصص التي رويت لنا من هذا القبيل أو التي أطلنا عليها في الكتب والخرائد والمجلات للأناجيا بحللات كثيرة . ومن ذلك حادثة وقعت في البلاد الأنكليزية منذ بضع سنوات وأكثر تحدث الناس بها وهذه خلاصتها نقلًا عن كتاب الدكتور تكت في أدلة ما وراء الطبيعة

نشرت جريدة الشمس في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٨ كتابًا من القس بروك يقول فيه

«جاءتني خادمة البيت البارحة بين الساعة اربعة واخماسة وقالت في تعالي وانظر الدكتور استني (وهو قس البلد الذي كان فيه القس بروك وكان قد ذهب إلى بلاد الجزائر واقام القس بروك نائبًا عنه) فقلت لها القواين الدكتور استني فقالت نعم الدكتور استني وسارت بي إلى المكتبة وقالت نظري من هذا الشباك فالتفت وإذا امامي صورة قيس بشاب سوداء وطوق ايض فظننتها في وزن الامر صورتي معكوسة عن زجاج الشباك ودقت النظر فاذا الرجل جالس وراء مكتبته وامامه كتب وسلسلة ساعة في صدرته من جيب إلى جيب كما ينسها الدكتور استني . فتفتحت الشباك وخرجت إلى الحديقة التي امامه والتفت إلى الخائط المواجه للشباك حيث رأيت الصورة فوجدتها هناك احدًا

وقد غادر الدكتور استني هذا البلد في العاشر من ديسمبر إلى بلاد الجزائر ثم جاءت

الإخبار أنه حدث اصطدام في سكة الحديد هناك أصيب به هو وزوجته»  
 ونحوها أرسلت جريدة التيمس مندوباً من قبلها فقابل القس بروك والخادمة وكتب  
 كل ما سمعه منهما فنشرته. ويظهر منه أنهما كانا ينظران من خلال الزجاج وان الوقت  
 كان نحو الساعة الخامسة مساءً وان الظلمة كانت شديدة حينئذ في الحقيقة لان الشمس  
 تهب باكراً في البلاد الانكليزية في اواخر ديسمبر وان المكتبة التي كانا واقفين فيها كانت متارة  
 وظهر هذا الشج للخادمة في التاسع والعشرين من ديسمبر الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة  
 عشرة وارتدت الخادمة اخرى ولقس بروك ولكن الشج اخفى حالاً اذ ظهر ضوء القمر. ثم  
 رأتة ثالثة نحو الساعة السابعة والدقيقة الخامسة عشرة ولكنها لم تراه حينئذ لاسباباً  
 سوداء بل رداء ابيض. وكان مندوب جريدة التيمس معها حينئذ ولكنه لم ير غير صورة  
 المكتبة. وفي كل مرة كان الشج يظهر حينما يفتح غلق الشباك الخشبان ويخفي حينما يفلتان  
 ثم جاءت الاخبار من الجزائر ان الدكتور استلي اصيب بارتجاج الدماغ في اصطدام  
 سكة الحديد في ٢٦ ديسمبر لكنه لم يقتل كما ظن قبالاً بل كان حياً يروق حينما ظهر شجة  
 للخادمة ولقس بروك اول مرة ثم لما ظهر ثاني مرة كان قد شفي من ارتجاج الدماغ  
 وتقليل ظهور شجته للخادمة ولقس سهلاً جداً فان كل من يجلس في غرفة متارة وينظر  
 من شباك زجاجي فيها في ليلة شديدة الغلام يرى كأن زجاج الشباك مرآة ترى فيها  
 الاشباح التي في الغرفة ولكن صورها لا تكون جلية. وهذا ما يراه المسافرون ليلاً بسكة  
 الحديد في شبايك المركبات. ومتى كانت الصور غير جلية تخيلها المرء حسب ما يصوره له  
 الوهم. والظاهر ان الخادمة رأت صورتها اولاً فتوهمت انها صورة الدكتور استلي وحينئذ  
 تخيلتها كذلك. وقد عرف من البحث بمدى قوة الخيال كثيرة الاوهام. ولما نادى القس  
 بروك وقالت له انها رأت شج الدكتور استلي رأى هو صورته في زجاج الشباك فتوهم انها صورة  
 الدكتور استلي ورأى صورة المكتبة في الشباك فتوهم ان الدكتور استلي كان جالساً وراءها اما  
 مندوب جريدة التيمس فلم ير غير صورة المكتبة لانه ليس من اصحاب الاوهام على ما يظهر  
 فهل كانت هذه الخادمة صادقة في ما قالت وهل صدق القس بروك في ما كتب به الى  
 جريدة التيمس. لاشبهة في انهما وصفا ما اعتقدا انهما رأياه وعبراً عما يقتضيه ومع  
 ذلك لم يصدق لانهما لم يريا الدكتور استلي حينئذ ولا صورته لانه كان بعيداً عنها في  
 بلاد الجزائر وهما في البلاد الانكليزية ولم يكن ميتاً حتى يقال ان روحه فارقت جسده وتجلت  
 لها. فان كان الاخبار عما يراه الانسان بعيده محتملاً للصدق والكذب فما هو الصدق اذا

رأى الناس الشمس تشرق وتغرب يوماً بعد يوم منذ آتوا وانوف من السنين ولم  
يكتفوا بالزوية المعروفة بل راقبها حكماً في سيرها ورصدوها في بروجها وانتبهوا إلى دخول  
النهار وقصره وميل فلکها على تلك البروج وحسبوا ذلك بالضبط انما ووضعوا الجداول  
والازياج لحركاتها وحركات سائر النجوم بانين ذلك كله على انها كرة تارة تدور حول  
الارض . وعندما ان طلوع الشمس وغيابها ودورانها حول الارض الحق الحقائق واصدق  
الحوادث ومع ذلك فطلوع الشمس وغروبها وحركاتها الظاهرة خداع في خداع والشمس ثابتة  
بالنسبة إلى الارض والارض هي التي تدور على محورها فيظهر كأن الشمس دارت حولها وكل  
مشاهدات الناس ورصودهم من اول عهدهم إلى ان ثبتت قضية دوران الارض على محورها  
وحول الشمس مبنية على الخطأ مع ان فيها اموراً كثيرة نعلمها حقائق راضية فاننا نستطيع ان  
تقول مثلاً ان الشمس تشرق غداً ولا تغرب ان يمحطنا احد . وقولنا هذا مبني على  
مشاهدتنا ومشاهدة سلافنا شروق الشمس وغروبها يوماً بعد يوم مدة قرون كثيرة .  
ولما زادت معارف الناس وثبت لهم ان الارض هي التي تدور لا الشمس لم يتغير اعتقادهم ان  
الشمس تشرق وتغرب لان شروقها وغروبها يوماً بعد يوم من الامور المثبتة بالاستقراء  
ورب قائل يقول ألا يحتمل ان يحدث في الطبيعة حادث يمنع الشمس من الطلوع واذا  
وقع الاحتمال بطل الاستدلال . فحجيب نعم ان ذلك محتمل ولكن احتماله بعيد جداً لانه  
مخالف لاخبار الناس في كل عصورهم حتى يحق لنا ان نقول ان طلوع الشمس حقيقة  
مقررة لا شبهة فيها

فمقياس الصدق والصحة في مسألة طلوع الشمس هو تكرار هذا الطلوع في مواعيد محددة  
مدة قرون كثيرة من غير خلل ولو كان ذلك لا يمنع احتمال عدم طلوعها مع ان هذا الطلوع  
امر ظاهري لا غير . وكل كلياتنا من هذا القبيل وما احسن ما قاله حكيم في هذا الصدد  
وهو ان كل ما يستعمله الناس صحته مبني على الترجيح نعم اننا نرى نوايس الطبيعة سائرة على سنين  
واحد لا يتغير ولكن ذلك لا يستلزم انها كانت كذلك دائماً في العصور الغابرة ولا انها ستبقى  
كذلك في العصور التالية لانه يحتمل ان تكون كان على غير ما نراه الآن ولكن لا يمكن  
اثبات ذلك ونقله من حيز الاحتمال إلى حيز اليقين كيد ما لم نلّم عليه ادلة كثيرة قاطعة فاذا  
قال قائل انه حدثت منذ كذا الوف من السنين حوادث لا تنطبق على نوايس الكون  
المعروفة الآن فالتبين يفكرون ولا يريدون ان يتقدموا ولا ان يتقدموا يحق لهم ان يطلبوا  
على ذلك شاهداً عدلاً وادلة وبيانات يوثق بها

فالمقياس العملي للصدق أو للنصحة هو تحقيق القضايا أولاً بالاستقراء الضوئيين وبالامتحان الدقيق فإذا استقر بنا حادثه من الحوادث ورأيناها لتكرر دواماً على نسق واحد وصورة واحدة ثم امتحناها على اسنوب واحد فرأينا نتيجةها واحدة حتى لنا ان نعدها صحيحة ونحسبها بين الحقائق العلمية مثل فعل انكينا بالحمى . والعلم بالجدري . والمصل بالدنثريا . والسباد بالارض . والزري بالزرع . والطبخ بالطعام . وكل الاعمال العلمية والزراعية والصناعية والتجارية لم يؤخذ بها ويؤخذ عليها الأبعد ما اثبت الاستقراء والاخبار صحتها

لكن الذين يدعون صحة الاحلام ومناجاة الارواح ونحو ذلك لا يجرون على هذا الاسنوب في تحقيق دعوايهم بل يسلطون بقول من يعتقدون صدقه من غير دليل او يكتفون بحادثة واحدة وينون عليها اول حكم يحظر لهم . مثال ذلك ما يروى عن ثلاث نساء اتقن على ابتياع زكية من الدقيق على ان تدفع كل منهن ثلث الثمن فدفعت واحدة منهن اقل من الثلث رادعت انها دفعت الثلث تماماً ولما انكرت صاحبها عليها ذلك اكدت بقسم انها دفعت الثلث وطلبت من الله ان يميتها في تلك اللحظة ان كانت كاذبة . ويقال ان الله اجاب طلبها فماتت في الحال واقيم لما نصب في البلاد الانكليزية حيث ماتت كسبت نفسها عليه . فاذا فرضنا صحة هذه القصة كما رويت فلا تفتد دليلاً على ان المرأة ماتت لانها كذبت اذ ان الذين يكذبون كل يوم أكثر من ان يعدوا ولا يموت احد منهم ولكن يمكن تعليل موتها بفعل عصي من تأثير الخوف فيها فان كثيرين يموتون كذلك وقد شاهد الدكتور تروك اثنين ماتا فجأة من الخوف وذكر القاضي منتج في كتابه عن زيلدا الجديدة ان رجلاً من سكانها الاصليين اكل من طعام رئيسه على غير انتباه فلما ادرك خطاه وقع ميتاً

وما تقدم لا يفي فعل الاسباب التي يقال انها فوق الطبيعة لان النبي على هذه الصورة اثبات قابل للشك . ولكن هذه الاسباب لا يصح اثبات فعلها مالم تثبت على الاستقراء والامتحان مثل القضايا التي ثبتت صحتها . فاذا وجدنا ان كل من يكذب ويطلب ان يعاقبه الله بالموت على كذبه يموت حالاً وامتحنا ذلك في اناس كذبوا ثم طلبوا ان يعاقبهم الله على كذبهم بالموت فعوقبوا بحكماً بصحة هذه القضية وحسانها من الحقائق المقررة الى ان يقوم ما ينقضها لان الاستقراء معها كان واسعاً لا يكون تائماً الأمتى امتنع نبي ما ثبت به

ثم ان الناس مختلفون كثيراً في احكامهم على الاستقراء والامتحان . والسبب الاكبر لتلك اختلاف تدرجهم . دخلنا مرة مشهداً كبيراً قام فيه احد المشعوذين بعمل اعمالاً غريبة في قراءة الافكار واكتشاف الحيات هو وزوجته فاقفنا ساعة زمانية ونحن نراقب الحيل التي

يستخدمها في أعماله المختلفة فكشفت بعضها ونقيس غيره عليه إلى ان انتهت الخلسة فخرجنا  
 مدهوشين من مهارته . واتفقنا مشيناً مع أربعة او خمسة من أكر المفكرين ودار الحديث  
 في أعمال الشموذ وزوجته فرأيناهم مقتنعين انها فعلا ما فعلا بقوى طبيعية او روحية غير  
 معروفة ولما جعلنا نسر تلك الاعمال دهشوا ولم يكادوا يصدقون تخمينهم  
 واذا سكر الناس او اغتراف الذبول اختلفت احكامهم وبعدت عن احكام الصالحين .

فالكران واخشاخ والمصاب بالجران يرون امامهم الاقاعي والجزايات وتدور الدنيا بهم  
 ويصدقون ويهبون . ولاشي من ذلك يشر به الصالحون او الاصحاب الذين حولهم . وهذا شأن  
 الذين يمتريهم الدهول سواء كان بفعل فاعل كما في التصريح المنطيسي او كان ذاتياً كالذين  
 يشاهدون امرأ مدهشة تستهويهم فيرون ما لا وجود له امامهم ويسمعون اصواتاً وهمية . ومن  
 هذا القبيل الذين تعب ادمتهم او يستهويهم الشغل والزار والسحر او يتصدون الهياكل  
 ويبسبون فيها للنجلى لم الارواح او الاولياء كل هؤلاء تخطف مشاعرهم فيجتم لهم الزم  
 وتصيره حقيقة

ومن هذا القبيل أيضاً الاساليب التي يترتب عليها الناس والمعتقدات الراسخة في نفوسهم فانها  
 تؤثر في اذهانهم تأثير الاستواء فلا يرون بعض الامور كما يراها غيرهم لان المعتقدات الراسخة في  
 الذهن من قبل تكيف الصور الجديدة فيراها المرء على غير ما يراها من ليس في ذهنه تلك  
 المعتقدات كما ان من ينظر الى لون احمر ثم ينظر الى لون اخضر لا يراه كما يراه من ينظر اليه  
 بعد ان نظر الى لون اصفر او ازرقي

روي الدكتور آبت ان رجلاً من خدمة الدين قام في ضميره ان الله امره ان  
 يطرح نفسه في النهر ليقرب فضل وحالاً وقع في الماء تنبّهت اعصابه الى الدفاع عن نفسه  
 فطج حتى خرج من الماء وركع على ركبتيه وطلب من الله ان يبين له هل كان صوت ضميره  
 الذي يدعو الى طرح نفسه في الماء صواباً او خطأ فشر كأنه قائلاً يقول له بل كانت  
 صواباً ويجب ان تلي بنفسك في النهر فضل ذلك ثانية وللحال تنبّهت غريزته الفطرية الى  
 حفظ حياته فخرج من الماء وأخذ الى المستشفى وعولج حتى شفي من رهمه

وزيادة القول ان الاحكام لا تكون صحيحة الا اذا ثبتت بالاستقراء الطويل والامتحان  
 المدقق وان مشاعر الناس كثيراً ما تخطف اما من تعب اندماغ او من قلة الدربة او من  
 رسوخ بعض المعتقدات او فعل بعض الخدراوات ولذلك لا يقبل فيها الا شهادة الشهود  
 العدول وسنأتي على تفصيل ذلك